تمهـــــــيد

تناولت العديد من الأقلام قديماً وحديثاً شخصية عمر بن الخطاب ، تلك الشخصية التي سطرت أبرع وأعدل شخصية على مر التاريخ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته أبي بكر ، هذه الشخصية التي أبهرت العالم أجمع ، وضربت أبرع المثل للحاكم العادل الرشيد، الذي إذا ما رأى الناس ظلم حكامهم لهم ، قالوا ياليت لنا مثل عمر بن الخطاب ، ذلك لأنه لم يدع أحد من رعاياه يشعر بالظلم في عهده ، فقد شمل عدله ورحمته ورأفته الناس جميعا حتى البهائم .

وقد يظن الناس أن شخصية مثل عمر لن تتكرر مرة أخرى ، وهذا زيفٌ باطل ، والتاريخ شاهد على ذلك ، فعندما تدهور أمر المسلمين في العصور الوسطي ، وانْتُزِعت القدس من أيديهم على أيدي الصليبيين ، وعاقبهم الله بوجود هؤلاء الكفرة في أراضيهم ، يستبيحون نسائهم وأموالهم ، وقاد آل زنكي حملتهم لتطهير أراضي المسلمين من هؤلاء ، وأفاق الناس من غيهم ورجعوا إلى ربهم ، ورفعوا راية الجهاد ، أرسل عليهم حاكماً عادلاً ، وهو نور الدين محمود ومن بعده صلاح الدين الأيوبي ، جزاءً من الله ومكافئة له لعباده ، لأنهم سلكوا طريقه واتبعوا سنة نبيه ، فلو رجعنا إلى الله والتزمنا طريق الشرع لولى علينا رجالا كهؤلاء العظماء الذين سطروا تاريخهم بأحرف من نور في صفحات التاريخ ، وتناولتهم الأقلام بالثناء إلى يومنا هذا وألى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ورحم الله استاذنا العقاد حين قال : " إننا إذ ننظر إلى أعمال عمر بن الخطاب ، ونقيسها إلى نظام الحكم في زماننا ، لنجد فيها كثيرا من المستغربات التي تحول بيننا وبين تقديرها الصحيح للوهلة الأولى ، ولكننا لا نلبث أن نرفع القشرة وونفذ إلى اللباب حتى تزول الغرابة، ونرى في مكانها الحق الخالد الذي تتغير العصور ولا

يتغير ، بل نرى في مكانها أحياناً ما يصلح كل الصلاحية للتفسير حتي بمبادئ هذا العصر الأخير" [1].

فرغم أن عمر كان أقدر المالكين في عصره ، كان يقنع بالكفاف ويلبس الكساء الغليظ ، ويهنأ إبل الصدقة – أي يداويها بالقطران – ويراه رسل الملوك وهو نائم على الأرض نومة الفقير والمسكين ، وتُعرض له المخاضة وهو يدخل إلى الشام فينزل عن بعيره ويخلع خفيه ويخوض الماء ماشيا ، ويسافر مع خادمه فيساوي بينهما في المأكل والمركب والكساء [2].

ولا غرو أن عمر كان يعيش عيشة الفقراء ، إلا أن رعاياه وأعدائه كانوا يهابونه أهيب مما تهاب التيجان في القصور ، وهذا مثل صارخ لكل حكام المسلمين ، الذين تطاولوا في البنيان ، وأكلوا ثروات شعوبهم ، فما أغنى عنهم ذلك من الله شيئا ، وقللهم الله في عيون رعاياهم ووضع من شأنهم .

على أية حال إن السبب الرئيس في ثورات الشعوب على حكامهم الفاسدين ، يعود في المقام الأول إلى غياب العدالة الاجتماعية،التي افتقدتها العديد من الشعوب الإسلامية .

فبلاد الإسلام تتمتع أغلبها بموارد طبيعية وبشرية غنية ، وثروات طبيعية هائلة ، استحوذ عليها الفاسدين ، وحرموا أبنائها من خيرها ، لذلك قامت الثورات في وجوه هؤلاء الفاسدين المستبدين ، ورُفعت الأحذية في وجوههم ، فقضى من قضى منهم ، ومنهم من ينتظر مصيره المحتوم سواء بالسجن ، أو القتل والتنكيل ، لقد

---

(1) عباس محمد العقاد : عبقرية عمر ، القاهرة ، دار النهضة للطباعة والنشر ، 1998م ، ص 110.

(2) نفس المرجع ، ص 111.

نسيَّ هؤلاء أنهم رعاه ومسئولون عن رعاياهم ، لقد منح الإسلام للحكام سلطات على الرعية ، ووكل إليهم رعاية مصالح الناس ، والقيام بشئون حياتهم على أكمل وجه ، وأوجب عليهم حقوقا عظيمة ، ألزمهم القيام بها ، وأدائها كما فرضها عليهم الشارع الحكيم ، فمن أخذ الإمامة بحقها وأدى حق الله فيها ، كان من أسباب سعادته في الدنيا والآخرة . ومن خانها وخان أمانة الله التي إئتمنه عليها أخذه الله أخذ عزيز مقتدر .

لقد وعد الله عز وجل الأئمة العادلين الذين يسيرون في الناس بالعدل ، بأنه سوف يمكن لهم في الأرض ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، فقال تعالى في كتابه الحكيم " وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون " [1].

كما بين النبي صلى الله عليه وسلم فضل الأئمة العدول وعظيم ثوابهم عند الله فيما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذكر منهم الإمام عادل .....الحديث . [2]

وفي حديث آخر لمسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليم وما ولوا " [3]

---

(1) النور : 55.

(2) البخاري : باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة .

(3) أخرجه مسلم في الإمارة باب فضيلة الإمام العادل رقم 1827

OpenKandil.com

وأخرج مسلم أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :" أهل الجنة ثلاثة ، ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال " (1).

وعمر بن الخطاب كان حاكما من هذا الطراز العادل النادر ، ضُرِبَ به المثل في العدل والمساواة بين الناس ، فنامت الرعية في عهده هنيئة مطمئنة على مستقبلها ، فقد كان رضي الله عنه مثالا يحتذى به ، قدوة لرعاياه في خلقه وزهده ورحمته ورفقه وحلمه وعطفه على الناس ، وخوفه من الله وعبادته لله ، ذاق طعم الجوع عندما جاع الناس ، وذاق طعم الألم عندما تألم الناس ، وذاق طعم الفقر حين كان كثيرون من الناس أحسن حالا منه ، حرم نفسه وأهله من ملذات الدنيا ، لأنه كان يعلم أن الناس كانت ترمقه وأهله بأعينهم ، فاتقى الله فيهم ، وخاف الله فأخاف منه كل شيء ، لذلك كانت أخلاقه عاملا هاما من عوامل تدشين العدالة الاجتماعية في عصره ، لذلك وجب علينا دراسة جوانب شخصيته لما لها من مدلول كبير في تحقيق العدالة الاجتماعية في عصره .

(1) مسلم ، رقم 2865.

obeikandl.com